عملية اسدود : ضربة استراتيجية لعمق الأمن الإسرائيلي

16-3-2004

العملية وضعت المؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية في موقف لا تحسد عليه بحيث اتسع نطاق دائرة الشك بقدراتها لدرجة خروج أصوات من الكتاب والمحللين الإسرائيليين تطالب بإعادة النظر بكافة الإجراءات الأمنية ومراجعة ومحاسبة هذه المؤسسة التي كانت تتبجح بتفوقها الأمني.

بقلم وسام عفيفة

"عملية استراتيجية "، هذه هي العبارة التي أُطلقت على العملية الجريئة والنوعية المشتركة - باعتراف قادة الأجهزة الأمنية في الكيان الصهيوني - التي نفذها مجاهدان استشهاديان في ميناء أسدود الأحد 14-3-2004 ، بالإضافة لما تحمله هذه العملية من نتائج ودلالات نسفت العديد من أسس النظرية الأمنية الصهيونية وأثبتت مرة أخرى ان المقاومة الفلسطينية بمقدورها أن تتفوق في أطار صراع الأدمغة التي تخوضه مع أقوى دولة في الشرق الأوسط , والأمر المؤكد أن نتائج العملية لا تتوقف عند, مقتل 11 إسرائيليًا وجُرح ما لا يقل عن 20 آخرين بعضهم في حالة خطرة بل تتسع نتائج العملية لتطال ضرب عمق الأمن الصهيوني وتحقيق جانب مهم من نظرية الردع التي تسعى المقاومة الفلسطينية لتحقيقها في إطار مواجهتها غير المتكافئة مع الاحتلال.

هول الصدمة كان قويا على المؤسسة الأمنية والعسكرية الصهيونية وحتى الآن يتخبطون في تحديد موقع الاختراق الأمني في ظل اخترق العملية للعديد من الدوائر الأمنية في آن واحد، أما الهاجس المخيف الذي يؤرقهم فهو أن تكون هذه العملية فاتحة لعمليات أخرى من هذا القبيل تخرج من قطاع غزة الذي يحتشد فيه جيش من الاستشهاديين في ظل ارتفاع وتيرة التنسيق والعمل العسكري المشترك بين الأجنحة العسكرية لفصائل المقاومة.

* إنجازات العملية:

العملية التي وصفتها المقاومة بأنها "نوعية وإستراتيجية... كرد أولي على جرائم الاحتلال في قطاع غزة".

تبنتها كل من كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكتائب شهداء الأقصى المحسوبة على حركة فتح. أما منفذي العملية فهما: نبيل إبراهيم مسعود -18 عاما- من كتائب شهداء الأقصى، وهو من قرية دير سنيد التي هجر منها عام 48، ويسكن في مخيم جباليا. والثاني محمد زهير سالم -18 عاما- من كتائب عز الدين القسام، وهو من قرية هربيا المهجر منها عام 48، ويسكن في مخيم جباليا أيضا".

وأوضحت المصادر الإسرائيلية أن "الانفجار الأول وقع قرب منطقة مخازن الميناء، أما الثاني فقد وقع داخل الميناء؛ وهذا ما جعل الشرطة تستبعد إمكانية دخول منفذي العملية إلى الميناء عن طريق البحر"، فيما تجري الشرطة الإسرائيلية التحقق في كيفية دخول الاستشهاديين إلى منطقة الميناء.

ومهما تكن آلية وطريقة دخول الاستشهاديين وتنفيذ العملية، فإن المقاومة استطاعت تحقيق نقاط وإنجازات بالغة الأهمية وستبقى أصدائها تتردد لفترة طويلة في إطار استمرار المقاومة مع الكيان الصهيوني ومن أبرز النقاط التي استطاعت إحرازها هذه العملية أنها تمكنت من تحقيق

ثلاث اختراقات أمنية غاية في الأهمية تتمثل :
اختراق الحصار والطوق الأمني المحكم والقوي حول قطاع غزة والذي لم يتمكن المقاومون من اختراقه لتنفيذ عمليات داخل العمق الإسرائيلي منذ نحو 3 أعوام.
اختراق الإجراءات الأمنية في ضوء حالة الاستنفار والإعلان عن وجود إنذارات حول نية المقاومة تنفيذ عمليات داخل المدن الإسرائيلية، بحيث تحولت هذه المدن إلى مواقع أمنية من حيث تشديد الحراسات ونشر مختلف وحدات الأمن الإسرائيلي.
أما الاختراق الجديد فكان اختراق موقع استراتيجي ذو طبيعة أمنية وحراسة خاصة في ميناء أسدود في حين كان بمقدور المجاهدين تنفيذ العملية في أي تجمع آخر سهل في طريقيهما وهو ما يعني صفعة أمنية جعلت قادة الأجهزة الأمنية يتخبطون في حيرة وإرباك في محاولة للوصول إلى إجابات كثيرة حول العملية.
المجاهدان تمكنا أيضا من الوصول إلى موقع حساس داخل الميناء وهو مكان لتجميع المواد الكيميائية السامة التي تشكل خطر على المناطق المجاورة الأمر الذي أثار العديد من التساؤلات لدى العدو حول عمق الاختراق الأمني الاستخباري للمقاومة بإمكانية حصول المجاهدين على معلومات مسبقا عن المكان وتحديد النقاط الحساسة داخله.
* نتائج ودلالات:
وبناء على النقاط والإنجازات الأمنية السابقة، فإن العديد من النتائج والدلالات تبرز على ضوئها على النحو التالي:
- المقاومة تمكنت – نظريا وعمليا – من تحطيم الحصار والسور الأمني المضروب حول قطاع غزة وهو ما يشكل أيضا ضربة لدور الجدر الأمنية الأخرى خصوصا في الضفة الغربية، ما يعني أن على الاحتلال أن يعيد حساباته في أساس نظريته الأمنية خاصة أن قادة الأجهزة الأمينة لطالما تتشدق بقوة ومناعة السور والإجراءات الأمنية حول القطاع بحيث حولوه إلى معتقل كبير ولم يضعوا في حساباتهم إمكانية اختراقه.
- العملية وضعت المؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية في موقف لا تحسد عليه بحيث اتسع نطاق دائرة الشك بقدراتها لدرجة خروج أصوات من الكتاب والمحللين الإسرائيليين تطالب بإعادة النظر بكافة الإجراءات الأمنية ومراجعة ومحاسبة هذه المؤسسة التي كانت تتبجح بتفوقها الأمني.
- أما على الصعيد الفلسطيني، فإن تنفيذ العملية المشتركة يأتي ضمن سلسة العمليات المشتركة التي باتت أسلوبا معتمدا لدى المقاومة ويدل على مدى اتساع دائرة التنسيق العسكري والميداني بين مختلف أجنحة المقاومة، الأمر الذي أعطى بعدا وزخما متجددا للمقاومة ظهرت نتائجها ونجاحاتها في أكثر من عملية، وأثار لدى الاحتلال حالة من التشتت بعدما سعى جاهدا للاستفراد بفصائل المقاومة كلا على حده.
العملية المشتركة قدمت أيضا رسالة أخرى إلى بعض الجهات في السلطة الفلسطينية التي كانت تحاول في أحيان كثيرة القفز على المقاومة وتقديم حلول سياسية وأمنية تهدف إلى وقف المقاومة أو تتجاهلها أو تطالب بحل أجنحتها العسكرية أو تنتقد أساليبها ووسائلها العسكرية حيث جاءت العملية لتؤكد صلابة جبهة المقاومة.
- ومن دلالات العملية أيضا أنها جاءت لتؤكد أن خطة شارون للانسحاب من غزة هي نتيجة ضغط وضربات المقاومة، وهي بذلك تشوش الصورة التي حاول الاحتلال إظهارها من خلال تكثيف عمليات القتل والاغتيال في الآونة الأخيرة.
* كيف تم الاختراق؟؟
يبدو أن هذا السؤال هو الشغل الشاغل للأجهزة الأمينة الإسرائيلية حيث تتركز التحقيقات لاكتشاف كيف تمكن المجاهدان من اختراق أقوى الدوائر الأمنية لدى العدو ..- دائرة قطاع غزة,

ودائرة الإجراءات الأمنية في المدن الصهيونية, ثم دائرة ميناء أسدود-, وفي هذا السياق أشارت التعليقات الإسرائيلية بمرارة إلى أن مقاومين في الثامنة عشرة من العمر نجحا في أن يبرهنا حجم الخلل الذي أُصيبت به منظومة الحراسة حول أحد المواقع الأكثر حساسية في (إسرائيل).
فحتى قبل أن تبدأ لجنة التحقيق التي شكلها وزير المواصلات عملها، يمكن الإشارة إلى الاشتباه بقصور خطير بالإجراءات الأمينة حول الميناء.
والأمر المثير للسخرية أن الصحف الإسرائيلية أشارت إلى أنه خلال الأسبوع الماضي فقط جرت في ميناء اسدود مناورة استعدادا لعملية (انتحارية)، وقد تلقى رجال الحراسة خلالها الثناء على أدائهم من كل محافل الأمن التي حضرت الحدث.
وتضيف المصادر الإسرائيلية، أن قوات الأمن لم تفاجأ من وقوع العملية في ميناء اسدود، بل من السهولة الشديدة التي حصل فيها الأمر, حيث يعد ميناء اسدود، منشأة بنية تحتية استراتيجية، تحرسه شركة خاصة تعمل بموجب تعليمات من الشرطة والمخابرات.

وفي إدارة ميناء اسدود قالوا إن ترتيبات الحراسة في المكان مشددة، فالحراس المسلحون يحرسون ستة بوابات دخول للميناء طوال ساعات اليوم، وكل شخص يدخل يجتاز فحص أمني. وبالمقابل توجد دورية سيارة تتجول على طول الجدران في الميناء.
وما يميز عملية أسدود أنها استهدفت منطقة إستراتيجية وحساسة ذات حصانة أمنية عالية جدا، إذ لا يسمح لأي شخص بالاقتراب منها إلا بتصريح، كما أن الميناء المستهدف هو ثاني أكبر ميناء في الكيان الصهيوني بعد ميناء حيفا وقادر على استيعاب السفن الضخمة وفيه ميناء عسكري.
أما بالنسبة للخروج من قطاع غزة فهو أيضا لا يقل أهمية وقد كان للمقاومة الفلسطينية دائما محاولات لاختراق حصار غزة مذ بداية الانتفاضة، وقد سقط العديد من الشهداء خلال هذا المحاولات كما جاءت صواريخ القسام كأحد أشكال هذا الاختراق، إلا أن خروج المجاهدين من هذه الدائرة الأمنية المحكمة استدعى بالتأكيد جهدا كبيرا حيث كانت محولات للاختراق بشتى الطرق مثل حفر الأنفاق على الحدود، وقد قامت أجهزة أمن السلطة الفلسطينية بإحباط محاولة لخلية تابعة لكتائب القسام نجحت في حفر نفق حدودي في المنطقة الوسطى لقطاع غزة قبل اندلاع انتفاضة الأقصى مباشرة، في حين تمكن المجاهدون من التسلل عبر الحدود المصرية الفلسطينية جنوب القطاع والوصول إلى مناطق محتلة في محيط مدينة ايلات وقد استشهد مقاومون في هذه العملية, كما كانت هناك محاولات للتسلل عبر البحر إلا ان هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح.
كذلك نجح المقاومون في مرات سابقة من العبور عبر الحواجز الإسرائيلية كايرز, كارني وناحل عوز،من خلال الوثائق المزورة أو عبر أحد المستوطنين الذين يتقاضون أجور مقابل تهريب العمال الفلسطينيين.
* ردود الفعل:
ردود الفعل الإسرائيلي على العملية جاءت كالعادة برفع وتيرة التهديد بارتكاب جرائم واغتيالات مع التركيز على قيادة حركة حماس, حيث نقل عن مصدر أمني إسرائيلي، قوله إن إسرائيل تعتزم توجيه ضربات لزعماء الناشطين الفلسطينيين "ردا على عملية اسدود"، وقال المصدر الأمني "سيتخذ قرار باستهداف القتل إلى جانب إجراءات أخرى، ويعتمد التوقيت على المخابرات".
وصرح المصدر بأنه لا يستطيع أن يستبعد الهجوم على الشيخ أحمد ياسين الأب الروحي لحماس ومؤسسها.
أما الرد السريع فكان بإلغاء الاجتماع الذي كان يتم الإعداد له بين ارئيل شارون ورئيس الوزراء الفلسطيني أبو العلاء
كذلك شنت قوات الاحتلال غارة نفتها الطائرات المروحية في ساعة مبكرة من فجر الاثنين،

على مدينة غزة، استهدفت بصواريخها محلات ومنشات مدنية في منطقتي الزيتون والنصر في المدينة.
من جانبه قال د. عبد العزيز الرنتيسي القيادي في حركة حماس إن العملية في اسدود تأتي ردا على مجازر الاحتلال هذا الشهر والتي خلفت 44 شهيدا، وحيى منفذي العملية الذين أثلجوا صدور أهالي الشهداء و كل المؤمنين. وأضاف إن العملية هي هدية للأمة العربية والإسلامية وتدعوهم إلى الوقوف إلى جانب شعب فلسطين المظلوم القادر على ردع المحتل.
في حين أكد قادة في كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح أن الجدار العنصري الصهيوني لن يوقف المقاومة مشددا على أن عملية اشدود واحدة من سلسلة عمليات رد على الاغتيالات ولا تحرج أحدا.

للعودة للأعلى